

الخطبة التاسعة استجيبوا لله وللرسول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأَنْفَال: 8 / 24].

الحمد لله الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما ... الحمد لله الذي جعل الظلمات والنور ... الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ... وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله.

عن عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه رضي الله عنه قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إني أسالك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال النبي صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده، لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا دعي به أعطى» الترمذي (3475) وابن ماجه (157)، وبعد ...

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأَنْفَال: 8 / 24 - 25].
خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الأَنْفَال: 8 / 25 - 24].

دعوة من الله تعالى ... وأمر من الله عز وجل لعباده المؤمنين بأن يستجيبوا لله وللرسول ... إذا كان الخطاب للمؤمنين ... وهو كذلك ... فكيف يكونون مؤمنين إذا لم يستجيبوا لله وللرسول؟ ... وإذا كانوا قد استجابوا فما فائدة الدعوة؟ نعم إنه خطاب للمؤمنين، وإنهم استجابوا إلى الله وآمنوا ... وفائدة الدعوة والأمر من الله للتبيان ... الاستجابة لله تعالى في أن يؤمن الإنسان بالله تعالى ويؤمن بالعبادة

و يفهمها ... والاستجابة في أن يقوم بالعبادات بعد الإيمان، وبنود الإسلام كاملة ... والاستجابة في أن يطبق الإنسان تعاليم الدين كاملة في جميع أمور حياته، وفي جميع أحواله ... وفي جميع أوقاته حتى مماته ... فالاستجابة لله وللرسول ليست فقط ابتداءً ... وإنما هي ابتداءً واستمراراً وثباتاً وانتهاءً بإذن الله ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 15 / 99]؛ أي أعبد الله حتى يأتيك الموت.

* الاستجابة إلى الله في الإيمان بالعتيدة في الفهم الراسخ لقوله تعالى: ﴿فَاعَلَّمْنَاهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ [محمد: 19 / 47].

* الاستجابة إلى الله في العبادة ... والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، والعبادة هي كل فعل أو نية أو قول يقصد به مرضاة الله سبحانه وتعالى والاجتهاد في متابعة السنة الصحيحة ... والاستجابة إلى الله في العبادة هي فعل ما يحبه الله ويرضاه وهي فعل ما فرضه الله تعالى، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تبارك وتعالى قال: ... وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه» خ (3475).

* الاستجابة إلى الله في تنفيذ أحكام الشريعة كاملة والتسليم بها والرضا والعيش بها والخوف من مخالفتها ومحاربة من يناقضها ويخالفها وينفذ غيرها ... قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 33 / 36]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 4 / 65]، قال تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: 42 / 10].

* الاستجابة إلى الله في ترك المنكرات، وترك الحرام وترك البدع والضلالات ...
 الاستجابة إلى الله في ترك الفحش والتفحش، في ترك الكبر، في ترك الرذائل أيًا
 كانت القولية أو العملية، عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عند الله
 خزائن الخير والشر، مفاتيحها الرجال، فطوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير
 مغلقًا للشر، وويل لمن جعله الله مفتاحًا للشر مغلقًا للخير» صحيح الجامع
 (4108)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المكر والخديعة والخيانة في
 النار» أبو نعيم في الحلية (1057)، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
 وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 16 / 90].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قلت: يا رسول الله ما تمام البر؟ قال: «أن تعمل في
 السر عمل العلانية» الطبراني (3343).

* الاستجابة إلى الله في ترك آفات اللسان من الغيبة والنميمة والكذب والافتراء
 والطعن واللعن .. وأكبر آفات اللسان الافتراء على الله وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم، قال
 تعالى: ﴿مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 6 / 144].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «من وقاه الله شرَّ ما بين لحييه، وشرَّ ما بين رجليه
 دخل الجنة» الترمذي (2409).

وعن أم حبيبة رضي الله عنها رفعت للنبي صلى الله عليه وسلم «كل كلام بني آدم عليه لا له، إلا أمر بمعروف
 أو نهي عن منكر، أو ذكر الله» أخرجه الترمذي (2412)، وابن ماجه (2974).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رفعه للنبي صلى الله عليه وسلم «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء
 كلها تستكفي اللسان فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، إذا استقمتم استقمنا، وإذا
 اعوججت اعوججنا» الترمذي (2407).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه للنبي صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها في الجنة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في النار» أخرجه البخاري (6113).

* الاستجابة إلى الله في محبة الله ورسوله، ومحبة ما يحبه الله ورسوله... وكرهية ما يكرهه الله ورسوله... فلا يكون إيمان أبداً ولو مثقال ذرة إلا بالمحبة الخالصة التامة الفائقة عن كل محبة أخرى... وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» مسلم.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 2 / 165]، ﴿لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلِّتْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ [التوبة: 9 / 23-24]، وكرهية ما يحبه الله ورسوله كفر، وكرهية تشريع الله كفر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزَلَ اللَّهُ فَحَبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ [محمد: 47 / 8 - 9]، ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّنْ نَخْرُجَ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن نُّقَاتِلَ مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَرْبَةٍ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ [التوبة: 9 / 81 - 84].

عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هذا ما سأل محمد ربه، اللهم إني أسالك خير المسألة وخير الدعاء، وخير النجاح وخير العمل وخير الثواب وخير الحياة وخير الممات، وثبنتي وثقل موازيني وحقق إيماني وارفع درجتي وتقبل الخير وخواتمه، وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلاء من الجنة - آمين - اللهم إني أسالك

خير ما آتي، وخير ما أفعل، وخير ما بطن وخير ما ظهر، اللهم إني أسالك أن ترفع ذكري وتضع وزري وتصلح أمري وتطهر قلبي وتحصن فرجي وتنور لي قلبي وتغفر لي ذنبي» وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد. أخرجه الحاكم في المستدرک (1867).

1. ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدُ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْعَرُورُ﴾ [لقمان: 31 / 33].

2. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال رضي الله عنه: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» صحيح مسلم (2742).

3. وعن عقبه بن عامر رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها» البخاري (428)، يعني أن يكون التنافس بينكم على هذه الدنيا الفانية.

4. وعن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة وقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم» قلنا: يا رسول الله كلنا يحب ذلك ... فقال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله جل جلاله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل» مسلم (1909)، قال ابن حبان أضمّر في الحديث كلمة (لو تصدق بها) أي خير من ناقتين لو تصدق بهما، وثلاث وما إلى ذلك.

5. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 8 / 24].

عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه، قال: كنت أصلي فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيت، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما منعك أن تأتي؟» ألم يقل الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: 8 / 24]، البخاري (307 / 8)

6. ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ [الشورى: 42 / 47]، آيات بعد آيات ... وأحاديث بعد أحاديث، وقصص من نضال النبي صلى الله عليه وسلم ومن معاناته ... وقصص من الصحابة رضوان الله عليهم، وكل هذا لا يحرك في قلوبنا شيئاً؟! كل هذا لا يجعل الدمع ينزل ولا القلب يخشع؟! ولا الجلد يقشعر؟! كل هذا ولا تتحرك النفس بالندم على ما قصرت في حق الله ولا على ما فرطت في جنب الله، ماذا يجب أن نفعل؟ ماذا يجب أن نقوم به حتى نخاف وعيد الله؟ ماذا يجب أن نفعل حتى نقف عند حدود الله؟ نحلُّ حلاله ونحرم حرامه، التقصير كثير ... والقلب فيه قسوة، والنفس أمارة بالسوء ... والشيطان يؤدي دوره كاملاً، وزبانية الشيطان يعملون على كافة المستويات لهدم الدين والأخلاق والفضيلة ... لكن هل هذا جديد؟ أما كان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم التقصير والقسوة في قلوب الناس ... والنفس هي هي، والشيطان كان وما زال وسيبقى إلى قيام الساعة، وأعوانه من الكفرة والمشركين والفاسقين موجودون في كل فترة وزمان نعم ولكن ...

إذا أردنا للحاق برسول الله ﷺ وأصحابه بالطريق واضحة جلية، وإذا أردنا اللحاق بالشيطان وهو الأمر السهل والذي يتماشى مع النفس الأمارة بالسوء بالطريق أيضاً واضحة جلية... فالنقطة الآن أين أنت على مفترق هذه الطريق؟ أتريد الدنيا أم تريد الآخرة؟ هل تريد حزب الله أم حزب الشيطان؟ ... إذا أردت أن تكون من الفائزين ومن الناجحين في الآخرة، وأحسبك تريد ذلك، لأنني هذا ما أريده لنفسي، فعليك بالاستجابة إلى الله وإلى رسوله، ففي الاستجابة لشرع الله الحياة الحقة الأبدية حياة الآخرة، حياة الجنة، إذا دعاكم لما يحييكم، دعاكم لما فيه حياتكم ما في سعادة الحياة، والسعادة الحقيقية وليست السعادة الزائفة سعادة الغرور سعادة الشيطان، السعادة هي في مرضاة الله والحياة هي في تقوى الله ...

استجيبوا بمعنى الإسراع في الإجابة، لما قال رسول الله ﷺ لأبي سعيد ابن المعلى تعال وقد أنهى صلاته وجاء عاتبه رسول الله ﷺ وكان العتاب في عدم سرعة الإجابة والقدوم؛ لأن أبا سعيد جاء ولكن متأخراً فكان عتاب رسول الله ﷺ، فمعنى استجيبوا معناه الآن وعلى التَّوَّ استجب لدعوة الله، استجب لحدود الله استجب لطاعة الله... استجب في حياتك كلها، وفي كل لحظة منها قبل أن يأتي يوم لا رجوع فيه وليس منه من محيص لا بد واقع... استجب لداعي الخير ﴿فَاسْتَجِبُوا أَلْحَاذِرَاتِ آيَاتِ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 2 / 148]، ﴿فَاسْتَجِبُوا أَلْحَاذِرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرَجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنزِلْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلِفُونَ﴾ [المائدة: 5 / 48]، والاستجابة إلى الله والسرعة فيها تحمل في طياتها أيضاً السرعة في التوبة لكي تحصل المغفرة ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 24 / 31]، وشرع الله سبحانه الإسراع في التوبة وما فيه فقال: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 4 / 17].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين

